موقف الصراط والمرور عليه

عباد الله: اتقُوا اللهَ، واعلَمُوا أَنَّ في يومِ القيامةِ أهوالاً عِظاماً، وشدائدَ جِساماً يَنْبَغِي على كُلِّ مسلمٍ أن يَسْتَعِدَّ لَها، ويَتَزَوَّدَ لها بِتَقْوَى الله، فَقَد أمَرَ اللهُ بِهذا الزادِ فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

وقبل دخول الجنة أو النار يمر الناس بهول عظيم، وكرب شديد، وعقبة كؤود، إنها عقبة المرور على الصراط، هذه العقبة التي لا مفر من ولوجها، ولا مناص من المرور عليها، وقد أقسم الرب جل جلاله وعز كماله أن يورِدَ عباده عليها، فقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾.

إن أعظم الكرب وأخطر المواقف يوم القيامة موقف الصراط والمرور عليه، فالرهان الحقيقي يكون عليه، والسباق المصيري يكون فوقه، فمن نجا فقد فاز بالعلا، ومن سقط فإلى نار تلظى، يقول الله –سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاء لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾.

ومِن أَعْظَمِ ما سَيَكونُ في ذلك اليومِ العَظِيمِ مِن الأَهوال التي يَنْبَغِي أَن نَتَزَوَّدَ لَها بِنُورِ الإيمانِ، وضِياءِ الأَعْمالِ: ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ حالِكَةٌ تُلْقَى على الناسِ قَبْلَ المُرُورِ على الصِّراطِ، لا يَرَى أَحَدٌ فيها حَتَّى كَفَّه، ومِن وَراءِ تِلْكَ الظُّلْمَةِ نارُ جَهَنَّم، فَما أَحْوَجَ العِبادِ إِلى نُورٍ يَسْتَضِيئُون بِه عِنْدَ العُبُورِ، فإِنَّه

مَوقِفٌ عَظِيمٌ رَهِيبٌ, يَشِيبُ لَهُ رأْسُ الصَّغيرِ، ومن شِدَّةِ هَوْلِه أَنَّ المِلائِكَةَ إذا رأَتْ هَولَ الظُّلْمَةِ والصِّراطِ قالوا لِرِبِّهِم {ما عَبَدْناكَ حَقَّ عِبادَتِك}. وهُمْ عِبادٌ مُكْرَمُون، لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُم، ويَفْعَلُون ما يُؤْمَرون، فَكَيْفَ بِنا إذا رَأَينا الظُّلْمَةَ والصِّراطَ؟

قال معاذ بن جبل –رضي الله عنه–: "إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه".

قال ثَوْبانُ رضي الله عنه: سُئِلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ: (هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ) والجِسْرُ هو: الصِّراطُ الذي يُنْصَبُ على مَتْنِ جَهَنَّم أَحَدُّ مِن السيفِ وأَدَقُّ مِن الشَّعْرِ، فالظُّلْمَةُ قَبْلَ الصِّراطِ، وفي تِلك الظُّلْمَةِ قَسْمُ الأَنْوارِ بَيْنَ العِبادِ بِحَسَبِ ثَباتِهِم على الصِّراطِ المسْتَقِيمِ في الدنيا، وبِحَسَبِ نَصِيبِهِم مِن الإيمانِ والعَمَلِ الصالِحِ. فَلا يَكُونُ النُّورُ على قَدْرِ رصيدِ الإنسانِ مِن المالِ أو الجَمالِ أو النَّسَبِ أَو الجاهِ أو المنْصِب قال صلى الله عليه وسلم: "فَيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ, فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ, يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ، وَإِذَا طفِئَ قَامَ. فَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، قَالَ: فَيُقَالُ انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ

الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّحْلِ وَيَرْمُلُ رَمَلًا فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يَجُرُّ يَدًا وَيُعَلِّقُ يَدًا، وَيَجُرُّ رِجْلًا وَيُعَلِّقُ رِجْلًا, فَتُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، قَالَ: فَيَخْلُصُونَ فَإِذَا خَلَصُوا، قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكَ بَعْدَ إِذْ رَأَيْنَاكَ، فَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا". رواه الحاكم.

اللهُ أَكْبَرُ: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}. بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُم فِي القُرآنِ الْعَظِيم، وَنَفَعنِي وَإِيّاكُمْ بِمَا فِيه مِنْ الآيَاتِ وَالذّكرِ الْحَكِيم، أَقُولُ مَا تَسْمَعُون وَاسْتَغْفُرُ اللهَ لِي وَلَكُم وَلِسَائرِ الْمُسْلِمِين مِنْ كُلِّ ذَنبٍ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم.

****

الخطبة الثانية

الْحَمدُ للهِ الْواحدِ الأحدِ الصمدِ الذّي لَمْ يَلدْ وَلَمْ يُولدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحد، فَاطرِ السّمَاواتِ وَالأَرْضِ، جَاعَلِ الْمَلائكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحةً مَثْنَى وَثلاثَ وَرباعَ، يَزِيدُ فِي الْخَلقِ مَا يَشاءُ، إنّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِير، مَا يَفْتَحِ اللهُ للنّاسِ مِنْ رَحمةٍ فَلا مُمسكَ لها، وَمَا يُمسكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَمَ تسلِيماً كَثِيراً.

أمّا بعد: تفكر الآن فيما بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها،

وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلاً عن حدة الصراط؛ فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثاني، والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم، كيف يُنكَّسون فتسفل إلى جهة النار رؤوسهم، وتعلو أرجلهم، فيا له من منظرٍ ما أفظعه! ومُرْتَقَىً ما أصعبه! ومُجاز ما أضيقه!

أيها المؤمنون: أَكْثِرُوا مِن سُؤالِ اللهِ الهِدايَةَ والتَّوفيقَ، والفَوزَ بِنُورِ الإيمان، فإن العَبْدَ لا يَنالُ ذلك إلا بِتَوفيقِ الله، قال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ}.

واعْلَمُوا أَنَّ مَنْ بَذَلَ الأَسْبابَ في ذلك، صادِقاً مسْتَعيناً باللهِ، مُتَوَكِّلاً عَلَيه، فإن اللهُ يُعْطِيهِ ويُوَفِّقُه ولا يَخْذُلُه.

ومِن الأسبابِ: الإكْثارُ مِن الدُّعاءِ، فقد كان مِن دُعائِهِ صلى الله عليه وسلم في صلاةِ اللَّيْلِ: "اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظِّمْ لِي نُورًا".

ومِن الأسبابِ أيضاً: مُجاهَدَةُ النَّفْسِ عَلى لُزُومِ الصِّراطِ المسْتَقيم في الدنيا، فإنَّ أَكْثَرَ الناسِ نُوراً على الصِّراطِ يَوْمَ القيامَةِ، أَكْثَرُهُم لُزُماً للصِّراط في الدنيا.

وأَسْرَعُهُم مُرُوراً على الصراطِ في الآخِرة، أَسْرَعُهُم سَيْراً عَلَيهِ في الدنيا. وأَكْثَرُ الناسِ حَظًّا مِن النورِ في الآخِرةِ، أَكْثَرُهم لُزُوماً لِنُورِ الإيمانِ والعَمَلِ الصالِحِ، وقد ذَكَرَ صلى الله عليه وسلم شيئاً مِن هذا النُّورِ بِقَولِه: "بَشِّرِ المشَّائِين في الظُّلَمِ إلى المساجِدِ بالنُّورِ التامِّ يَومَ القِيامَة". رواه أبو داود.

أي الذين يَتَرَدَّدُون على المساجِدِ لِصلاةِ العِشاءِ وصلاةِ الفَجْرِ، اللتين هُما أَثْقَلُ الصلاة على المنافقين.

اللهم اتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيءٍ قدير. اللهم ثبتنا على دينك، وثبت أقدامنا على الصراط واجعلنا من السابقين، واحشرنا معهم يا أرحم الراحمين.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وفقهنا في دينك يا ذا الجلال والإكرام، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم ثبتنا على دينك وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، اللهم خلصنا من حقوق خلقك وبارك لنا في الحلال من رزقك، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمت أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الدنيا زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر، اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليّها ومولاها، اللهم أصلح أحوال المسلمين حكاماً ومحكومين، اللهم أرهم الحق حقاً وارزقهم اتباعه وأرهم الباطل باطلاً وارزقهم اجتنابه، وولّ عليهم خيارهم، واجعل ولايتهم فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك، اللهم اجمع كلمة المسلمين

على كتابك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، واجعلهم يداً واحدةً على من سواهم، ولا تجعل لأعدائهم منةً عليهم يا رب العالمين، اللهم احفظ بلادنا من كيد الكائدين وعدوان المعتدين، اللهم احفظ بلادنا مما يكيد لها، اللهم من أراد بلادنا بسوء فأشغله بنفسه واجعل كيده في نحره وتدبيره في تدميره يا قوي يا عزيز، اللهم احفظ لهذه البلاد دينها وأمنها وعزتها وعقيدتها وسيادتها، وأصلح أهلها وحكامها يا أرحم الراحمين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم صلّ وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.